

باب الحكمة والآراء

مصائب مصر بقاسم بك أمين

يموت كل يوم خلق كبير فيخلفهم مثلهم فتتسي الأمة وتصبح وكأنها لم تقدر أحداً . ولكن في الناس أفراداً امتازوا بالمزايا النادرة في قومهم فأولئك اذا مات الواحد منهم يشعر أهل البصيرة من أمتهم بأنهم فقدوا من لا يقوم مقامه غيره ولا يعمل عمله سواه . ومن هؤلاء الأفراد من فقدته مصر اليوم ألا وهو قاسم بك أمين القاضي بحكمة الاستئناف الأهلية ونائب رئيس إنشاء الجامعة المصرية ومؤلف كتابي « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » — اغتاله المنية فجأة (في ٢٩ من هذا الشهر) فلم تندره بمرض ولا سقم بل لم تندر عقلاء البلاد ليعدوا لهذا الخسب عدته ، يأخذوا للمصائب أهبتها ، بتوطئ النفس على الصبر ، وتوجيه قواها الى الجلد أو التجلد ، امتاز قاسم بك أمين بمعظم المزايا التي تعوز المصريين في سبيل الحياة الاستقلالية التي ولوا وجوههم شطرها

امتاز باستقلال الفكر وجودة الرأي وصفاء الذهن وسعة الخيال وقوة الإرادة والعدل في الحكم والوفاء في الصداقة والإخلاص للبلاد وكان مع هذا من علماء الحقوق والأخلاق والاجتماع والفلسفة العقلية وقد وجهته في السنين الأخيرة الى فرع من فروع هذه العلوم وهو ترقية البيوت (المائلات) بتعليم النساء وتهذيبهن فلم يكنف بكتابه فيه بل جعله همه الأكبر الى أن وافته منيته ولسانه رطب بذكر تهذيب النساء وتهذيبهن وتحتي مشاركات الفتيات المصريات للفتيان في محافل العلم والأدب. قال ذلك في خطبة فرنسية ألقاها في نادي المدارس العليا قبل وفاته بساعة أو ساعتين

كان قاسم بك أمين يعد في استقلاله وفي الحرص على ترقية بلاده من طبقة يعد رجالها على الأنازل وهم أصدقاء بعضهم لبعض ، مات إمامهم وكبيرهم فحكر

أكرمهم على أثره : مات الأستاذ الإمام فتلاه صديقه علي بك فخري أحد أركان النهضة الوطنية العاملين في رقية القضاء والمحاكم الأهلية فحسن باشا عاصم المصلح في القضاء وفي المعية ، وقطب إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فحسن باشا عبد الرزاق الذي كان في مجلس الشورى هو الثيان ، بعد البدء الذي هو الأستاذ الإمام ، وهذا قاسم بك أمين خامسهم فلا غرو إذا تقام بالزينة به الخطب ، وعظم على البلاد به الكرب ، فإنه كاد يتحقق به قول الأستاذ الإمام ، ان الأمة مصابة بالعمى وقطعت الرجال ، فللأمة ان تستل اليوم بقول ابن النبيه :

والموت تقاد على صكفه جواهر يختار منها الجياد

قد كنا نقول ان هذا البيت من الثريات ، وصرنا نقول اليوم انه من المشاهدات ، ولا ننسى ان مصر فقدت أيضاً في هذه المدة القليلة الشيخ أحمد أباً خطوة نابغة الأزهر وابراهيم بك اللقاني الذي كاد يكون في آخر عمره منسياً لجلولة المرض بينه وبين العمل وهو في مقدمة كتاب مصر وخطبتها ومن أركان النهضة الجمالية الأولى فيها وكان كلا الرجلين من أصدقاء الأستاذ الإمام أيضاً فيا لله ما كان أشأم فقدته على هذه البلاد فقد ذكرني بما تابع بعده من فقد خيار الرجال قتل عمر بن الخطاب إذ فتح على المسلمين باب الفتنة في السلطة قتل بعده عثمان وعلي (رضي الله عنهم أجمعين)

كل للأستاذ الإمام قوة الفكر والنظر ، مع القدرة والمرانة على القول والعمل ، وكان حسن عاصم أقوى في العمل ، منه (اي من نفسه) في القول والنظر ، وأما قاسم أمين فكان نظرياً ، أكثرهما كان عملياً ، فكان يسبح في بحر لحي من الفكر ، ويطير في جو واسع من الخيال ، فيؤلف بين الحكم العقلية ، وبين التخيلات الشعرية ، فلماذا كان لكتوبه من التأثير وقوة الجاذبية ، ما جعله في مقدمة كتاب البرية ، على قلة اشتغاله بغيرها ، وتخصيله لها ، وما ذاك إلا ان كلامه يشبهه في كون روحه أكبر من جسمه ، ومعناه يفيض الجمال على صورته ، حتى كاد يكون فكراً مجرداً ، أو خيلاً متوهها ، كان قاسم من المهتمين في رياض الجمال المنوي فكان ذلك يرفعه أحياناً عن عالم المادة وما فيه النصب والغوب والمصائب في المال والولد والصديق فيهنون عليه

ما أصابه من ذلك وقيض عليه الجلد والصبر ، ويخيل لي ان لو طال عمره ، وقل عمله ، واستراخ باله ، لانتفى أمره بفلسفة عالية تظهر على لسانه ، وقيض من قلبه ، قروي أرض مصر بالحكم الجليّة ، في غلائل من الشرقيات الجليّة ، وناهيك بما في اجتماع الحكمة والشعر ، من تربية الشعور والفكر ،

على ان مافي هذه الطريقة من الخطأ في الحكم قديسرا تزاغه ممن تمكن فيه فإن الفكر يتحد فيه مع الوجدان ، آمجاداً يقل أن يفيد منه البرهان ، لذلك كان قاسم آراء في فلسفة الأديان ، ومستقبل الانسان ، تعد عند المنطقي من الخياليات ، وهو يراها من الحدسيات أو الوجدانيات ،

كان قييد مصر اليوم من أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية الأولين ولكن خدمته لها كانت بالرأي لا بالعمل ، أما العمل الذي كان يتوق اليه ، ويتمنى لو يتيسره ، فهو ان يؤسس ولو بماله — ان وجد المال — مدرسة لتربية البنات المصريات على ما يحب ويرى انه يرقى هذه البلاد ،

كان قاسم كزنا مخفيا لا يعرفه الا اصدقاؤه وكان اول شيء عرف به في عالم الادب رده على الدوق دركور فيما كتبه من الانتقاد على البيوت بمصر لا سيما مسألة الحجاب وسوء حال النساء المسلمات . كتب الدوق في ذلك كتابا باللغة الفرنسية فرد عليه قاسم باللغة الفرنسية وقد ذكر لنا غير واحد ان عبارته في رده كانت كعبارة كتاب فرنسا اللغاة . وكان قلبه في ذلك الرد يتدفق غيرة وحماسة وقد بين فيه مآل الحجاب من الفائدة وشنع على مافي اوروبا من التبذل والتهتك ونجاسة الاعراض وانخبرني قاسم انه كان يوم اطلع على ما كتبه الدوق دركور غافلا عن حال النساء بمصر قاله ذلك التقم والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبمدان شفي غيظه وارضى غيرته بذلك عادالى نفسه وفكر في الامر فرأى ان كثيرا من العيوب التي عاب الدوق بها البيوت المصرية صحيح في نفسه فبعثه ذلك الى درس هذه المسألة قائل في نفسه انه لا ينبغي اذا كان العيب فينا ان نرد على من يعينا ونبحث عن عيوب قومه وانما يجب علينا ان نبحث عن عيوبنا ونسعى في ازالته . وطلق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء

وانتهى به البحث والتقيب الى تصنيف (كتاب تحرير المرأة) الذي هز مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تريفظه وتقدمه زماناً طويلاً وبث همه خير واحد من حمة العظم والطرايش جميعاً الى التصنيف في الرد عليه وبذلك طار صوت قاسم بك أمين في الآفاق وعرف اسمه في الشرق والغرب وحدث من المصلحين الاجماعين ثم ألف كتابه (المرأة الجديدة) لتعزيز رأيه وتفنيد آراء خصومه فكان دون كتاب تحرير المرأة مادة وفائدة ونحريراً وتأثيراً على انه فوهه عراحة في المقصد وحرية في القول المخالف لرأي الجمهور وميله

وقد تولى في السنين الأخيرة من عمره الاشتغال بتأسيس «الجامعة المصرية» فلم يدخر وسماً ولم يأل جهداً وكان مناط الأمل في إنجاح هذا العمل وأي مصاب ترزأ به البلاد أشد من فقد رجالها عند ما يتم استعدادهم ويكمل رشادهم وتعرف الناس قيمتهم ويشرعون في الاعمال الكيرة التي يرجى نهوضهم بها وينتظر نجاحهم فيها؟ فهذا ما ضاعف الحزن على قيدهم مصر اليوم حزن العقلاء على قاسم لذاته وما تحلت به ذاته من المزايا العالية وضاعف حزنهم عليه أن كان مصاب البلاد به قريب العهد بمصاها بأصدقائه من رجال الاستقلال وما يرقى الامة من الأعمال وضاعفه مرة أخرى أن كان في الوقت الذي بدأ فيه بعمل عظيم وأنشأت النابذة تعرف من فضله ما يعرف الكهول والشيوخ من أهل المعرفة والفضل

يموت الرجل فيكيه الأهل ويندبه النساء ولكن قاسماً بكى عظماء الرجال وأقدرهم على التجلد والاحتمال ويندبه مثل سعد باشا زغلول وقتحي باشا زغلول وإنما اراداً ان يؤثناه فكان تأييدهما ندباً وتعداداً وبكاء ونشيباً أبكى معها جميع من بلغ القبر من المشيعين وذلك مالم يهد لسواه من الميتين

وجملة القول فيه انه يصدق عليه ما قاله هو في تأيين الأستاذ الأمام من أنه لا يوجد في الامة من يملأ الفراغ الذي كان يشغله فرحه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاء أهله وأصدقائه ووطنه فيه

مصافحة اسوريين للمصريين

يوجد في مصر الأوربي من انكليزي وفرنسي الخ والأمريكي والهندي والفارسي والارمني والمغربي من تونسي وجزائري ومراكشي والعراقي من تركي وكردني وعربي ومن العرب الحضرمي والنجدي والحجازي والعراقي والسوري . ولم نر صفاً ممن ذكرنا ومن لم نذكر من الأصناف أقرب إلى المصري من السوري فهو جاره في بلاده وموافق له في لغته وأكثر عاداته مع كونه عثمانياً مثله وليكننا على هذا كله لم نر المصري في مناظرة أو منافسة مع صنف من أصناف البشر الذين تضمهم بلاد مصر إلا مع السوري فما هو سبب ذلك ؟

يرى من دقق النظر أن السبب في هذا هو ذلك القرب نفسه فإن السوري لما كان صنواً للمصري امتزج به امتزاج الماء بالراح وشاركه في عامة شؤونه من مأكله ومشربه وطوره وجدده وهزله فما من سوري في هذا القطر إلا وله من الأصدقاء المصريين مثل ماله من السوريين أو أكثر ومن طبيعة المنافسة أن تكون بين الخلقاء ما لا تكون بين البعداء فالأفراد ينافسون اخوتهم وأقاربهم وجيرانهم ، وأهل البلد ينافسون أقرب البلاد اليهم وكذلك أهل المديرية فأهل الأقطار فأهل الممالك قد كانت المنافسة الأولى بين المصريين والسوريين في أعمال الحكومة ثم ضعفت أو تلاشت وخطفتها المنافسة في الصحافة أو السياسة . فكانت بين المقطم والمؤيد ثم بين المقطم واللواء . وحقبة هذه المنافسة أنها منافسة أفراد لا أصناف إذ رأي المقطم في السياسة ليس هو رأي السوريين وإنما هو رأي أصحابه وأول من قارعهم فيه صاحب جريدة الأهرام من السوريين . ولكن اللواء كان يرد عليهم من حيث أنهم سوريون ودخلاء فكان ذلك من قبيل تطبيق الحكم بالمشق وهو كما قال علماء الأصول يؤذن بعلة مأمنة الاشتقاق . أعني أن رد اللواء على أصحاب المقطم من حيث هم منسوبون إلى سوريا ودخلاء في مصر يفيد أن علة

ما يريهم به من خيانة مصر هو كونهم سوريين . فلو كان الامر كما يدعي
— وهو ليس كذلك — لكان كل سوري خائنا لمصر اول كان مجموع السوريين
كذلك . وهذا باطل لانه مبني على اصل باطل ولكنه سرى في اوهام كثير
من الناس لاسيما الاغرار . وهذا مانعنا حافظ بقوله

لولا اناس تفالوا في سياستهم منا ومنهم لما لنا ولا عتبا
ومحمدالله ان كلا من المتعلم والواء الذين يعنيها حافظ قد رجح — مع اصراره على أنه
كان حسن النية — عن الخطة التي كانت تصدقوا وكادت تجعل المنافسة بين جريدين
سبب التعادي بين شمين كل منها منوالآخر وشريكه في كل مقومات الحياة حتى
أوشك ان يصدق في ذلك ما قيل من ان سوء التفاهم كثيرا ما يكون اضر من سوء التصيد
لقد حسن في هذه الفرصة ما قام به سليم افندي سر كيس من تأليف جمعية من
خيار السوريين علما وأدبا وجمع طائفة من القواد منهم ومن غيرهم من السوريين
بالاكتساب لاجل دعوة جماعة من خيار المصريين علما وأدبا الى الاحتفال باسم
السوريين لا كرام حافظ افندي ابراهيم الشاعر المصري الشهير

ولما كان الغرض من هذه الحملة موادة السوريين للمصريين كانت الخطب
واقصائد التي اشرنا اليها في الجزء الماضي ممثلة لتلك احسن تمثيل وقد وقع ذلك موقعه
الذي يستحق فأننت الصحافة المصرية كلها كالصحف السورية على سليم افندي
سر كيس وأيدت الغرض من الاحتفال بالكلم الطيب في التأليف بين المصريين
الذين هما بمنزلة الآخرين

(تصحيح غلط) في السطر ١٦ من ص ١٢٤ « وعن » محله قبل كلمة « غمضة »
ينها وبين الواو قصير « وعن غمضة » قضاة الخ وفي السطر الخامس من ص
١٢٥ من الجزء الماضي « عدوه غريبا » وقد سقط من قبلها هذه الجملة « عدوه قصيضا
وما كان قليل الدوران على ألسنتهم » . وفي هذا الجزء أغلاط مطبعية أخرى مدرجة
ككلمة « محمد » في ص ١٧ ص ٩٣ وصوابه « محمد عبده » ومنها كلمة « اذا »
في ص ٣ ص ١٠١ وصوابها « إذ »

الفصل الرابع (*)

(مقام النساء في قوم خديجة)

تلك كانت أحوال قوم خديجة في نظام اجتماعهم ذلك ولم يكن مقام المرأة فيهم مقاماً مهيناً بل كان لها لديهم مقام كريم وجل ما عرف عنهم من انحطاط مقام المرأة أنهم كانوا يكرهون البنات وأنهم كانوا يدفونهن أي يدفنونهن في التراب ومن على الحياة (٥٨:١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٩ يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ أَيُنسِئُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ) هذا ما عرف عنهم ومن أخذ هذا الأمر على ظاهره وإطلاقه يستغف بهؤلاء القوم لأن انحطاط قيمة المرأة ومقامها عندكم دليل على انحطاطهم ولكن أخذ الأمر على ظاهره وإطلاقه ليس من شأن الذين يجوزون معرفة الحقائق

إن كل بلد فيها الفقراء وذوو اليسار ، وفيها الحق وأولو الألباب ، وفيها النساء وأهل الرحمة . فليس من العقل ولا العدل أن يجعل محل بعض الحق أو النساء أو الفقراء في بلد مثلاً ومراة لأعمال مجموع أهل البلد كان في مكة فقراء وحقى ونساء كما هو الحال في سائر البلاد وكان

أناس قليلون من هذه الاصناف يأتون هذا العمل الفظيع نعي الوأد (دفن البنات في الحياة في سن الطفولية) فلا ينبغي أن يقال بدون تقييد إن القوم الذين نشأت منهم سيدتنا هذه كانوا يبدون البنات . إن نوما نبتت فيهم مثل هذه السيدة لا يقتل أن يكونوا قتلة بنات كلا انهم لم يكونوا يقتلون الاجساد ، ولم يكونوا يقتلون منهن المقول والارادات ، واما الذي نقل عنهم فهو عمل نكر يكادون لا يذكرن من فقرائهم او حقاقم او قسائم

ولم يكن الذين يبدون بناتهم يأتون هذا العمل الفظيع تعيظاً من هذه النساء البريئة او احتقاراً لجنس المرأة كما يلوح لاول وهلة بل كان يسوقهم الى ذلك فساد في الخيال وضعف عظيم في الطبيعة . وان الخيال الفاسد ليزين المنكر حتى يظنه صاحبه من المعروف كما يشاهد كل واحد منا كثيراً

كان منهم فقراء يزين لهم خيالهم الفاسد ان قائلهم اذا ظلت في ميدان الحياة ربما نالها ضيق من فقرهم وربما عجزوا عن ان يكرموا من بنقتة تساوين بأزواجهن ، من ذوي قرباهن او جوارهن ، فيرون مواراتهن في التراب ، خيراً لمن من بقائهن دون الاتراب ،

لا نكران للحق ان هذا خيال باطل ولا سيما عند المؤمنين ولكن هذا الخيال الباطل لم يوح الى صاحبه ان الفتاة شجرة خبيثة يجب اجتنابها قبل النمو ويستحسن حرمان الوجود من ثمراتها وانما زين له سوء عمله هذا من طريق اخرى هي كرامة فتاته

يخجل ذلك المسكين ان فاته ان عاشت تيش مثلها في غصص تذيب
 القوادق وقد من الجلمود، وكرب تسود الوجوه البيض وتبيض الشعور
 السود، فيزين له خياله ان يحيى كريمة فلذة كبده من مثل هذه الحياة التي
 بلاها قفلاها وان بقي بألم ساعة عند توديعها وتسليلها الى الابد آلام
 عنين يراها فيها كثيرة النصب قليلة التصيب كما بقي أحدم بألم الكي
 آلام سقم مزمن

وكانت منهم حتى توسوس لهم شياطين الخواطر بأن الفتاة ربما
 وقعت في يدمن لا يرى له ولها حرمة. ولو قضى على كل البشر بمثل هذه
 الوسوس لا دنت الدنيا بالاقتضاء ولكن الموجد لم يشأ الا ان تكون
 الدنيا على هذا النمط من الاستمرار فلذلك لم يوجد لهذه الوسوس سلطانا
 على قلوب البشر الا قليلا من بفتايشهم من هذا القبيل

سأه مايزن لهؤلاء الفقراء والحقى الذين كبر نصيبهم من التسويع
 نصيبهم من الفقر والحقى قلوبهم المهدم ان اليسار ليس مختكرا في بيوت معينة
 واشخاص مختصة وانما يتاح للعاملين المحسنين مع الظروف المناسبة، وان
 قيمة كل امرىء ما يحسنه، وان ليس عليه الا ان يفتل بالمروف عند
 قومه ويصبر قليلا حتى يتاح له ما يقوم به شأنه، لا سهل عليه ان يقصف
 يديه غصنا منه أنته الله ولا لذة أكبر من تربيته وتميته

ولو علم الاحق ان الفرار من توم العدو نهاية الجبن وغاية الخذلان
 ويشمر أقصى درجات الخسران لرأي انه جدير بالبكاء على حظه من
 ضيف النفس

وهيات ان يكون قوم «خديجة» على هذا النمط من ضيف النفوس

وهم المروفون بالشجاعة والاعتدال . وأي قوم تطيب لهم الحياة إذا كانوا
لا يرون سلامة حرمهم إلا بإفنائها؟ وأي يجد الشخص الطمأنينة إذا كان
دأبه الهرب، من غير ما طلب؟

أما أنهم كانوا يكرهون البنات إذا بشر أحدكم بها فلا يستطيع أحد
انكاره لأن القرآن المجيد هو الذي سجل هذه الحقيقة التاريخية وقد سرى
هذا إلى نفوسهم من شدة احتياجهم إلى البنين الذين سيكونون المدافعين
في ذلك المجتمع القائم بنفسه قيام المجتمعات الكبيرة . وليس معناه أن البنت
تظل طول دهرها مكرهة وإن النساء لا قيمة لهن ولا قدر عند أولئك القوم .
ما ذنب القوم إذا كان نهر من فقرائهم وحقاقم قد ضمنت نفوسهم فاستسلموا
إلى الاستراحة مما يلزم للكرام الثعب فيه؟ وما إجرامهم إلى الإنسانية
من بعد أن يقوم أمجادهم بافتداء كثير من الفتيات اللاتي تصدى أبوهن
لوأدهن من الفقر؟

إن العرب كافة وفريشا خاصة كانوا يبرّون المرأة ولا يهينونها وقد
أعطوا النساء كل ما هنّ من الحقوق في نظر العدل ولم ينسوا أن
المرأة كالرجل هي إنسان يحمل دماغا فيه إدراك وأن لهذا الإنسان المؤنث
نفساً كنفس ذلك الإنسان الذكر تفضب ورضى وتم وتشتق فأعطوا
دماغها ونفسها حقها

وقد رووا لنا أن هنداً بنت عتبة وهي من قوم سيدتنا «خديجة» جادها
أبوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا الزواج بها فقالت عنفها
لي فقال «أما أحدهما ففي روة وسمة من العيش إن تابتيه تابلك، وإن
ملت عنه خطّ اليك، تحكين عليه في أهله وماله، وأما الآخر فوسم عليه،

منظور إليه، في الحسب الحبيب، والرأي الأريب، مدبره أرومته، وهن
عشيرة، شديدة النيرة، لا ينام على ضفة، ولا يرفع عصاه عن أهله،^(٥)
قالت يا أبت الأول سيد مضياح للحرمة فما عشت أن تلين بعد إبانها،
وتضيق تحت جناحه إذا تأبها بلها فأنبرت، وخافها أهلها فأمنت، فساه
عند ذلك حالها، وتبع عند ذلك دلائها، فان جاءت بولد أمحت، وان
أنجبت فمن خطأ ما أنجبت، فاطو ذكر هذا عني ولا نسه علي بعد،
وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة، الحرة النفية، وأني لا اخلاق مثل هذا
لرافقة، فزوجنيه، فزوجها الثاني وكان هو أباسفيان بن حرب فولدت
منه معاوية مؤسس دولة بني أمية الشهيرة وأحد نجباء العرب ودوامهم
فكذا كان مقام المرأة في قوم سيدتنا « خديجة » لا يفتات أهلها

عليها في حقها وهكذا كان رأي ذوات المعجب والركاة منهن

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والأمر
السومية، وناهيك أن الحرب التي ظلت مستمرة نحواً من أربعين سنة
بين بني ذبيان وبني عيس لم يتفكر في اطفاء نارها الا امرأة ولم تمكن
من اطفائها الا بلها من المكاة وحسن الرأي وذلك ان يهبة بنت أوس
ابن حارة بن لام الطائي لما زوجها أبوها من الحارث بن عوف المرّي
وأراد أن يدخل عليها قالت اتفرغ للنساء والعرب يتل بعضها بعضاً تعني بني
عيس وبني ذبيان فقال لها ماذا تقولين قالت « اخرج الى هؤلاء القوم
فأصلح بينهم ثم ارجع الي » فخرج وعرض الأمر لخارجة بن سنان فاستحسن
ذلك وقاما كلاهما بهذا الأمر فشيأ بالصالح ودفعا الديات من أموالهم

و حسبك من اشهر من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة
الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمار بن الاشتر الهدانية،
وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهدانية ، وام سنان
بنت جثة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن ربيعة، ودارمية
الحجونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سرافة البارقي . وأروى بنت
الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة علي معاوية بمد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما
دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر؟ قالت بخير
يا امير المؤمنين . قال لها انت القاتلة ل اخيك :

شمر كفعل أريك يا ابن عماره يوم الطمان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهران
ان الامام انما النبي محمد (ص) علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه قدما بابيض حارم وسنان
قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس، وبترا الذنب، فذبح عنك تذكار
ما قد نسي » فقال « هيبات ليس مثل مقام أخيك ينسى » قالت « صدقت
والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن
كما قالت النساء :

وان صخرآ لتاتم الهداة به كانه علم في رأسه نار
وبالله اسألك يا امير المؤمنين اتفاني مما استغفيتي » قال : قد فعلت
فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأ مورم

مقلد ، والله سائلك عما اقترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من
 يهض برك ، ويسط بساطناك ، فيحصدنا « صداد السنبل ، ويدوسنا
 ديس البقر ، ويسومنا انسيبة ، ويسأنا الجلية ، هذا ابن اوطاة قدم
 بلادي ، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطامة لكان فينا عز ومنة ،
 فاما عزك فشكرناك ، واما لا فرفناك » فقال معاوية « ابي تهديد
 تقومك والله لقد همت ان اردك اليه على قلب اشرس فينفذ حكمه فيك »
 فسكت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه المدل مدفونا
 قد حالف الحق لا يبغي به غنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك : قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى : قال
 ما ارى عليك منه ارا قالت : بلى ائبته يوما في رجل ولا صدقاتنا فكان
 بيننا وبينه ما بين الثن والسمين فوجدته قائما فاقتل من الصلاة ثم قال
 برأفة وتطفت لك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكي ثم رفع يديه الى السماء
 فقال « اللهم اني لم آمرم بظلم خلقك ، ولا ترك حقتك » ثم أخرج
 من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم
 قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُسْلِمِينَ ، بِقِيَّةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ » اذا أتاك كتابي هذا فاحفظ
 بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام » قال معاوية اكتبوا لها
 بالانصاف لها والمدل عليها فقالت « ألي خاصة ام تعوي عامة » فقال « ما

انت ونيرك » قالت « هي والله الفحشاء واللوم ان كان عدلاً شاملاً
والأ يسني ما يسم نومي » قال اكتبوا لها بحاجتها
ووفدت بكارة الهلالية ايضاً على معاوية بمدموت علي فدخلت عليه
وكان محضره عمر و بن العاصي و مروان و سعيد بن العاصي فجلسوا يذكرونه
بأفعالها التي قالتها في مشايمة علي و مساندة معاوية فقالت « أنا والله قاتلة
ما قالوا وما خفي عنك مني أكثر » فضحك وقال ليس بمنعنا ذلك من برك
وكتب معاوية الي عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن
قيس الهدانية مع ثقة من ذوي محارمها و عدة من فرسان قومها وان
يوسع لها في النفقة فلما و فدت علي معاوية قال « مرحباً قدمت خير مقدم
قدمه و افد كيف حالك » فقالت بخير يا أمير المؤمنين ثم قال لها « ألسنت
الراكبة الجبل الاحمر و الواقعة بين الصفيين تحضين علي القتال و توقدين
الحرب فما حالك علي ذلك » فقالت يا أمير المؤمنين « مات الرأس و بشر الذنب ،
ولا يبوء ما ذهب ، و الدهر ذو غير ، و من تفكر أبصر ، و الامر يحدث
بعده الامر » قال لها التحفظين كلامك يومئذ قالت « لا والله لا احفظه » قال
لكني احفظه و لا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها
والله يا زرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه » قالت « احسن الله شارتك
و أدام سلامتك ، فمئذك يبشر بخير و يسر جليسه » قال « أو يسرك ذلك ؟ »
قالت « نعم والله » فقال « والله لو فؤاؤكم له بعد موته ، أعجب من جبكم له في
حياته ، اذكري حاجتك » فقالت يا أمير المؤمنين آيت علي نفسي ان لا
أحال أميراً أعتت عليه أبداً . و مثلك من أعلى من ذير مسألة . و جاد عن
خير طلبية » قال صدقت و امر لها و للذين جاؤا معها بجوائز .

ووفدت عليه ايضاً ام سنان بنت جشمه، وعكرشة بنت الاطرش،
ولما حج سأل عن دارمية الجعونية فجيء بها اليه فقال لها « بعث اليك
لاسالك علام أحببت علياً وابغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ » فاستمته فلم
يفعل فقالت له « أحببت علياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ،
وأبغضتك على قتال من هو أول منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بالحق ،
وواليت علياً على حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك
الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى » ثم قال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟
قالت « أي والله » قال فكيف رأيته ؟ قالت « رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتتك
ولم تشغله النعمة التي شغلتك » قال فهل سمعت كلامه قالت « نعم والله فكان
يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صيداً اطست » قال صدقت فهل لك
من حاجة قالت « نعم تعطيني مثقاله حمراء » قال ماذا تصنين بها قالت
« أعذو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصلح
بها بين المشائر » قال « فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن ابي
طالب ؟ قالت « سبحان الله أو دونه » فقال « اما والله لو كان علي - يا ما
أعطائك منها شيئاً » قالت « لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين »
وكنالك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت

عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما منه حديث من مثل ما تقدم
فهكذا كان مقام المرأة العربية من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا
كان حظهن من النصيحة والحصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الأمور
السومية والاخذ بالاسباب ، والمشايبة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا
باليسير نوطاً لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها